«خاتمة كتاب الجهاد»

لكون كتاب الجهاد نهاية هذا الجزء فقد جعلت له خاتمة تعتبر من أهم مباحثه وأعظم قضاياه ألا وهى :

أ ـ أسباب النصر على الأعداء.

ب ـ صفات القائد المسلم الناجح.

ج ـ صفات الجندى المسلم المقاتل في سبيل الله.

د ـ صفات الجيش الإسلامى في حال اجتماعهم في سفرهم أو أثناء إقامتهم في أرض المعركة أو غيرها.

أ ـ أسباب النصر على الأعداء :

١ ـ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[١].

٢ ـ وقال عز وجل : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢].

٣ ـ وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

٤ ـ وقال تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣].

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم**»[٤] الحديث.

(١) سورة آل عمران آية (١٢٦).
(٢) سورة الحج آية (٤٠).
(٣) سورة الأنفال آية (٤٥).
(٤) سبق تخريجه.

وبعد فإن المجاهد في سبيل الله حقاً وصدقاً قد تكفل الله له بحسن العاقبة وضمن له النصر المؤزر كما هو معلوم من نصوص الكتاب والسنة.

غير أن للنصر أسباباً يجب الأخذ بها ويتعين على المجاهدين الاتصاف بها على سبيل الدوام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا منها.

١ ـ الحرص على الإخلاص لله والصواب في جميع مايقوم به المسلم من فعل الطاعات الظاهرة والباطنة وترك السيئات كذلك، إذ لاتقبل من عبد قربة بفعل طاعة أو ترك معصية إلا بهذين الشرطين.

ومن جملة الطاعات الجهاد، كما قال عز وجل : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ .

٢ ـ ومنها ملازمة التقوى التى تحمل صاحبها على حسن القصد وطيب المطعم والمشرب والملبس والمركب، وتحجزه عن سوء القصد وعن الغلول الذي يسبب العقوبة البرزخية والآخروية، وماقصة صاحب الشملة وصاحب الخرزات وصاحب الشراك والشراكَيْن عن الأذهان ببعيد.

٣ ـ ومنها الاستقامة على الحق علماً وعملاً ودعوة إليه وتضحية في سبيل نصرته بالنفس والنفيس والغالى والرخيص امتثالا لأمر الله حيث قال : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [(١)] الآية.

٤ ـ ومنها الالتزام العام بجميع تعاليم الإسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وسياسة وحكماً وحرباً وسلماً وسلوكاً وخلقاً، لأنه الدين الحق فلا يقبل التجزئة في العمل بحيث يقبل بعضه ويرفض بعضه الآخر بحسب شهوات النفس وهواها، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [(٢)]

وقال تبارك وتعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ

---

(١) سورة فصلت آية (٦).

(٢) سورة آل عمران آية (٨٥).

ٱلْعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

٥ ـ ومنها الدوام على ذكر الله الذي شرعه الله لنا.

ـ لننال به ثناءه علينا في الملأ الأعلى كما قال تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[2].

ـ ولتطمئن به قلوبنا كما قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3].

ـ ولتحيا به قلوبنا وتضاعف أجورنا كما قال تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4].

ـ وكما يكون الذكر بالدعاء والاستغفار فإنه كذلك يكون بقراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ذكراً بالقلب واللسان كما قال عز وجل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[5].

٦ ـ ومنها: تنظيم الجيش الإسلامي تنظيماً يتفق مع تعاليم الإسلام وفنون الحرب وأساليب القتال بحسب الزمان والمكان كما قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[6] الآية.

٧ ـ ومنها وجوب الطاعة للإمام والقائد في كل شيء يحقق مصالح القتال والحصول على النصر، فإن الخلاف يسبب الفشل والهزيمة قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[7]

٨ ـ ومنها الاعتصام بالصبر الذي يعتبر من أقوى أسباب النصر على كل عدو داخلي وخارجي وقد أمر الله به في مواضع كثيرة من القرآن الكريم قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة آية (٨٥).
(٢) سورة البقرة آية (١٥٢).
(٣) سورة الرعد آية (٢٨).
(٤) سورة الاحزاب آية (٣٥).
(٥) سورة الاحزاب آية (٤٢).
(٦) سورة آل عمران آية (١٠٣).
(٧) سورة الانفال آية (٤٦) .
(٨) سورة آل عمران آية (٢٠٠).

وأثني الله على أهله بقوله : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ (١).

٩ ـ ومنها الصدق مع الله في تلك الصفقة التى أبرمها بينه وبين المؤمنين ليجاهدوا في سبيله صادقين فيظفروا بجنة عرضها كعرض السماء والأرض، فيها حياة بلا موت وصحة بلا سقم وشباب بلا هرم ورضوان من الله لاسخط بعده.

١٠ ـ ومنها الثبات في مقر النزال وحومة الوغى، والتقاء الجيوش، كما قال تعالى : (٢)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾

وقال سبحانه محذراً من الفرار لسوء عاقبته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (٣).

١١ ـ ومنها العناية بأداء الشعائر التعبدية، وفي المقدمة الصلاة ولو حان وقتها عند ملاقاة الأقران إذ بها يحصل التمكين في الأرض لدين الإسلام وحياة الأمن والسلام.

١٢ ـ ومنها محبة السنن والعمل على إحيائها، إذ بها تستجلب محبة الله ونصره كما في حديث «**ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه**»(٤) الحديث.

١٣ ـ هجر المعاصى كبائرها وصغائرها وباطنها وظاهرها لأنها سبب في العقوبات العاجلة والآجلة كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ (٥).

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٧).
(٢) سورة الانفال آية (٤٥).
(٣) سورة الانفال آية (١٦).
(٤) رواه البخارى في كتاب الرقاق.
واحمد في المسند ج٦ ص٢٥٦ .
(٥) سورة الشورى آية (٣٠).

وقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (1)

١٤ ـ قوة الثقة بالله والتوكل عليه فهو الناصر وهو المعين وهو الذى بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

١٥ ـ الحرص على التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الأوقات التي كان يحب القتال فيها، كأول النهار لما في البكور من البركة في الأعمال فإن لم يكن فبعد الزوال لما في العشي من هبوب الرياح وتنزل السكينة والنصر.

١٦ ـ الاجتهاد في رسم الخطط الحربية من حيث الزمان والمكان والكم والكيف كما كان يفعل الجيش المظفر في عهد النبوة وفي عهد الخلفاء الراشدين لأن الأعمال العشوائية لاتحقق النتائج المرضية.

١٧ ـ التشاور بين القائد وجنده ثم المسارعة إلى الأخذ بالرأى الذي يتفق عليه أهل الخبرة في الحرب والمكيدة ولأهمية هذا السبب فقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ (2).

فكان عليه الصلاة والسلام يشاور أصحابه وينزل إلى الصالح من آرائهم السديدة المباركة كما في غزوة بدر الشهيرة.

١٨ ـ إظهار القوة والجَلَد أمام الأعداء لإرهابهم وإعلان عدم المبالاة بجموعهم ولو أدى ذلك إلى التبختر والخيلاء أمامهم.

١٩ ـ الخضــوع لله والشكر له على نعمة النصر على الأعداء والتغلب عليهم فلاأشر ولابطر ولكن حمدلله وشكر له وبراءة من كل حول وقوة إلا بالله الذي يمد بنصره أولياءه المتقين وجنده المجاهدين وحزبه المفلحين ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (3)

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦٥).

(٢) سورة آل عمران آية (١٥٩).

(٣) سورة الانفال آية (١٠).

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد الذى رفع به ربه عَلَم الجهاد وقمع به أهل الشرك والطغيان والفساد وجعله رحمة عامة لأتباعه في الدنيا والبرزخ ويوم التناد وحجة قائمة على بقية أهل الأرض الحاضر منهم والباد.

ب ـ صفات القائد المسلم الناجح :

من أبـرز الصفـات المـرضيـة التى تؤهل الجندى المسلم لقيادة الجيش الإسلامي مايأتى :

١ ـ صحة العقيدة الإسلامية عقيدة أهل السنة والجماعة وفهمها فهما صحيحا منبثقا من نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة الكريمة.

٢ ـ قوة الصلة بالله على علم وبصيرة من طريق حمل النفس على الإكثار من طاعة الله ومتابعة رسول الله القائد الأول لمسيرة الجهاد في سبيل الله في هذه الأمة فإن في التحلى بهذه الصفة لأعظم عون على تحقيق مهام القيادة الموفقة.

٣ ـ القـدوة الحسنـة بحيث يكون القائد قدوة صالحة لمن تحت قيادته وذلك بصدق التعامل مع شرع الله المطهر ظاهراً وباطناً عقيدة وعبادة وأخلاقاً وسلوكاً، وحسن التعامل مع عباد الله وفاء وكرماً وعطفاً وشجاعة ورافة ورحمة في حدود التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في معاملته الشريفة الطاهرة مع خلق الله أجمعين وبالأخص مع جيشه المخلص الصابر المظفر.

٤ ـ الاهتمام الكامل البالغ بكل مامن شأنه رفع قدر الجيش الإسلامى عند ربه كالتفقيـه في الدين، وبـالأخص صحة العقيدة ومعرفة أصول الدين والتوجيه الإسلامي الحق الذى ينطلق منه الجندى المسلم وشعاره (لا أرجو إلا الله ولا أريد مصلحة غير جنته ورضاه).

٥ ـ الخبرة الأصيلة بفنون وأساليب قتال الأعداء بحسب الزمان والمكان والعدد والعـدة، إذ أن الخبـرة بذلك سبب قوى بإذن الله في الوصـول إلى إحـدى الحسنيين، وبدون الخبرة يسوء الحال ويتخاذل أفراد الجيش ويغشاهم الفشل بسبب سوء القيادة وبلادة من أُسندت إليه، وليس أدل على قيمة الخبرة والمهارة من قول النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه «**ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا، ومن تعلم الرمى ثم نسيه فليس منا**».

وفى رواية «**فهى نعمة جحدها**»(1). وانطلاقاً من مدلول هذا النص الكريم قال الإمام ابن تيمية المجاهد العظيم والعالم الجليل : (والقوة في كل ولاية بحسبها فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال من رمى وطعن وضرب وركوب وكرّ وفرّ ونحو ذلك)(2) اهـ.

٦ ـ العمل على إيجاد الأسباب والوسائل التى تتحقق بها المحبة الصادقة والوئام الأخوى الإسلامي بين القائد وجنده إذ بذلك يتم التعاون على البر والتقوى وتكون من الجندى الطاعة والصفاء وتختفى العداوة والبغضاء والسخرية والاحتقار وغمط الحقوق وغيرها من أسباب الفرقة والفشل والضعف والهزيمة.

٧ ـ الخوف من تحمل المسئولية والخشية من الوقوع في الظلم والجوْر، ومن ثم عدم التطلع إلى الرئاسة والإمارة، اللهم إلا إذا اختير لها ورأى في نفسه قدرة على القيام بها او رأى أنها ستسند إلى من ليس لها بأهل فإنه ينبغى له أن يتأسى بالكريم ابن الكريم ابن الكريم الذي أخبر الله عنه أنه قال للملك : ﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾(3).

٨ ـ الأخذ بمنهج التربية الإسلامية للجنود المستمد من المصادر الرفيعة التالية :

---

(١) اخرجه الدارمى في السير ج٢ ص٢٠٤، ٢٠٥ .
وابو داود في الجهاد، باب في الرمي.
والترمذي في الجهاد، رقم (١٦٣٧).
وابن ماجه في الجهاد رقم (٢٨١١) من طريق ابي سلام عن عبدالله بن زيد الازرق به، وقد مال بعض العلماء إلى التفريق بين عبدالله بن زيد، وخالد بن زيد، وقال آخرون هما واحد، انظر التهذيب ج٣ ص٩١ ـ ٩٣ .
وقال الترمذي: وفي الباب عن كعب بن مرة وعمرو بن عبسة وعبدالله بن عمرو وهذا حديث حسن، وهناك وجه ثان عن محمد بن سلمة عن ابي عبدالرحمن الحراني عن عبدالوهاب بن بخت عن عطاء بن ابي رباح، قال: رايت جابر بن عبدالله، وجابر بن عمير يرتميان حمل احدهما فجلس فقال له الآخر كسلت قال: نعم قال: اما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب إلا اربعة : مداعبة الرجل امراته، وتاديب الرجل فرسه، ومشى الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة»، وهو صحيح كما قال الحافظ في الإصابة في ترجمة جابر بن عمير، وذكره المنذر في الترغيب والترهيب ج٢ ص١٧٠ وعزاه إلى الطبراني في الكبير وجود إسناده.

(٢) انظر الفتاوى ج٢٨ ص٢٥٣ .
(٣) سورة يوسف آية (٥٥).

أ ـ كتاب الله المنهج الحق الصالح لكل زمان ومكان ولكل أمة من أمم الأرض على اختلاف أعمالهم ومستوياتهم.

ب ـ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي الثاني، وكلام الرسول وتشريعاته التي حقق الله فيها على لسان رسوله كل خير وسعادة للبشرية.

ج ـ تاريخ أبطال الجهاد وعبر تاريخ عصورهم ابتداء بسيرة القائد الأول في هذه الأمة للجهاد الذي قال له ربه: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ ﴾ .

ثم سيرة الخلفاء الراشدين المجاهدين الفاتحين ومن جاء بعدهم من خلفاء وأمراء وعلماء وقادة فاتحين إلى يومنا هذا، ومن ثم يجب على القائد الناجح أن يرفض وينبذ تلك التعليمات الواردة من الشرق الملحد والغرب الإباحي المنحلّ من كل فضيلة، تلك التعليمات التي لم تؤسس على تقوى من الله ورضوان وإنما أسست على مبدأ الطاعة العمياء والفساد والطغيان وكل شيء يرضى الشيطان ويغضب الرحمان.

٩ ـ الفطانة والحذر من العدو المتربص وإن تمسكن وادعى الضعف فإن من طبيعة كل عدو للإسلام والمسلمين التربص وتحيّن الغفلة من الجيش الإسلامي.

فينقض عليه انقضاض النسر على جيفته، والسبع على فريسته، كما قال المولى الكريم : ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[1].

١٠ ـ إحياء السنن من تطوع بالصدقة والصوم وصلاة الليل والدعاء والاستغفار ولاسيما عقب الفرائض وبالأسحار فإن في إحياء السنن محبة الله لصاحبها وتكريمه بالمدد والعون والنصر التي لا مالك لها ولا واهب إلا الله.

١١ ـ تنفيذ أمر الله بقاعدة الشورى وليكن ذلك مع أولى العلم والخبرة والنُّهى امتثالا لأمر الله القائل : ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ .

١٢ ـ العناية بتنظيم الجيش حتى في أثناء التحام الصفين في ساحة الوغى، فإن التنظيم لأفراد الجيش وسراياه وكتائبه عنوان النصر على أعداء الله، وقد ضرب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر أروع الأمثال فقد كان

(١) سورة النساء آية (١٠٢).

يسوى جيشه في القتال كما يسويهم في الصلاة ويعين لهم أماكنهم ويأمرهم بالثبات فيها، وقد أشاد الله بصنيعه في التنظيم الحربى حيث قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1)

١٣ ـ الاعتصام بالصبر، فعمليات الجهاد فيها شدائد وابتلاءات تحتاج إلى صبر جميل واحتساب كثير وقد قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

١٤ ـ قوة اليقين بأن خوض المعارك مع الأعداء لايقرب أجلاً قد فرغ الله من تحديده وسببه ومكانه ولا الإحجام يؤخره ويمدده، فإن لكل أجل كتاب فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون.

١٥ ـ الشجاعة والكرم إذ أن وجودهما في قائد الجيش الإسلامي يعطى تأثيراً مباشراً على جنوده، وحينئذ يستقيم أمرهم وتؤمّن ثغورهم ويهزمون أعداءهم لأنهم بذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ليدخل الناس في دين الله أفواجاً، ولقد أوتى الرسول صلى الله عليه وسلم من هاتين الصفتين أكملهما فقد كان شجاعاً لايلحق به أحد من الشجعان كما يقول أصحابه عنه: «**كنا نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حمى الوطيس**»(2).

وقد كان جواداً بشهادة عطائه السخى، ولقد قال لأصحابه يوم عودته من غزوة حُنيْن والناس يسألونه حتى اضطروه إلى سَمُرة فخطفت رداءه، فوقف وقال لهم: «**أعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاة**(3) **نعما لقسمته بينكم ثم لاتجدونى بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً**»(4).

(1) سورة آل عمران آية (١٢١).
(2) جاء ذلك مصرحا به من حديث العباس يوم بدر في المسند ج١ ص٢٠٧ .
(3) العضاة: كل شجر ذى شوك كالطلح والسمر.
(4) أخرجه احمد في مسنده ج٤ ص٨٢ عن جبير بن مطعم.
والبخارى في كتاب الجهاد باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ج٤ ص٧٥ .

حاشاك، لقد أعطاك ربك من كل فضيلة كمالها ونجاك من كل رذيلة ووقاك شرها ووبالها، حقاً إن بالشجاعة والكرم الشرعيين تحقق المطالب الغالية وتحرز الفضائل والمكارم الحميدة العالية. وبالتخلص من داء البخل والكذب والجبن ينجح القائد في قيادته والمجاهد في جهاده، والداعي إلى الله في دعوته والراعي في رعيته.

١٦ ـ حسن التصرف والحكمة في الأمور المفاجئة فقد يحصل للقائد أمر عظيم فجأة فيجب أن يكون ثابت الجَنان قوى العزم غير مضطرب ولامنهار لعلمه أن الأمور تجرى بقدر من الله القائل : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾.

١٧ ـ حماية نفسه وجنده من الوقوع في حمأة المعصية التى يقاتلون من أجل اجتثاثها من الأرض، ليبقى فيها نور الطاعة المضيء في الأرض إلى السماء معلناً لجنده أن هلاك الأمم والجمع لهم بين العذاب الدنيوي والبرزخي والأخروى إنما هو بسبب المعصية كما فصل ذلك القرآن الكريم تفصيلاً.

هذه رؤوس أقلام عن المهم من الصفات التي يجب أن يتحلى بها القائد المسلم في كل زمان ومكان.

وأما الجندى المسلم فإن عليه أن يتحلى بصفات المجاهدين الذين وعدهم الله الحسنى ومغفرة وأجر عظيماً.

ومن أهم صفات الجندى المسلم المجاهد مايلي :

١ ـ صحة العقيدة الإسلامية عقيدة أهل السنة والجماعة وفهمها فهماً صحيحاً منبثقاً من نصوص الكتاب العزيز والسنة الكريمة.

٢ ـ الصدق مع إخوانه المجاهدين بل ومع الناس أجمعين وذلك بحسن التعامل معهم كما أمر الله في كتابه وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته.

٣ ـ الطاعة لمن له ولاية عليه ولو كان عبداً حبشياً يجاهد لإقامة العدل وإحباط الظلم فليس للجندى المسلم أن يخرج عن طاعته مادامت في طاعة الله وفي حدود شرعه.

٤ ـ الإخلاص في جميع الأعمال وبالأخص الجهاد الذي تنفق فيه النفس والمال فيجب أن يكون خالصاً لله لإعلاء كلمته وإقامة شرعه.

٥ ـ الحفظ للشعائر التعبدية واجبات ومستحبات، والبعد عن جميع المحرمات رجاء فيما عند الله من الأجر والثواب، وخوفاً مما لديه من العقوبة بسوء العقاب والعذاب.

٦ ـ الثقة في قائده وإخوانه المجاهدين، فلا ريبة ولا سوء ظن ولااحتمالات سيئة لاتبنى على يقين فإن هذه الأمور يظل صاحبها مرتبكاً مقدماً ومؤخراً فيضنّ بنفسه وماله، ويفقد التضحية والاستبسال في المعركة ويتثاقل عن الإسراع إلى لقاء العدو فيحرم مايحرص عليه المجاهد الذي وثق بقائده وفوض أمره إلى خالقه وبارئه.

٧ ـ اليقظة والدهاء كي ينجو من مكر الأعداء وكيدهم بل يجب أن يحاول أن يمكرهم ويخدعهم في الحرب فإن الحرب خدعة كما فى الصحيحين من حديث جابر الذي سبق إيراده وذكر معناه في هذا البحث المبارك.

٨ ـ المداومة على ذكر الله ولو كان عند ملاقاة الأقران فإن فيه غذاء للأرواح وطمأنينة في القلوب وثباتا فيها وسكينة تطرد الخوف والرعب من الدخول إليها، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾.

٩ ـ التواضع وحسن الخلق فإنهما من صفات أهل الإيمان وبهما تحرز المحبة من ساكنى الأرض والسماء وينال الرضىٰ من الله تفضلاً وتكرماً.

١٠ ـ كثرة التضرع والدعاء للنفس وللإسلام والمسلمين بالنصر والأجر والرضىٰ والغفران من الله ذى المغفرة والفضل والإحسان.

١١ ـ الكرم الذي يتجلى في حب البذل والعطاء في دروب الخير والإحسان، وفي المقدمة بذل النفس والمال في ميدان الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله.

د ـ وأمـا الصفات التي يجب أن يتحلى بها الجيش الإسلامي : في حال اجتماعهم لاسيما في أسفارهم لقتال عدوهم من المشركين فهى تؤخذ من الآيات التالية : قال تعالى :

١ ـ ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ .

٢ ـ وقال سبحانه : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾[1]

٣ ـ وقال تبارك وتعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾[2] الآية.

٤ ـ وقال عز وجل : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[3] ومافى معنى هذه الآيات كثير.

فقد دلت الآية الأولى على وجوب التحلى بثلاث صفات أساسية :

الصفة الأولى : التمسك القوى بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب وسنة إذ أن من تمسك بهما نجا ومن عاش في ظلهما المديد سعد وغنم.

الصفة الثانية : وجوب لزوم الجماعة والتحذير من الفُرقة فإن لزوم الجماعة والألفــة بينهم من الأمــور المحبوبة لله، والفرقة والاختلاف وماينتج عنهما من تباغض وتقاطع وإحن مبغوضة عند الله.

كما في صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تُناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم ثلاثاً، قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[4].

---

(١) سورة التوبة آية (١١٢).
(٢) سورة الفتح آية (٢٩).
(٣) سورة العصر آية (١-٣) .
(٣) اخرجه مالك في الموطا في الكلام باب ماجاء في إضاعة المال وذى الوجهين ج٢ ص٩٩٠ .
واحمد في المسند ج٢ ص٣٦٧ .
ومسلم في كتاب الأقضية باب النهى عن كثرة المسائل ج٣ رقم (١٧١٥) ص١٣٤٠ .

فقد جاء في هذا النص الكريم الأمر بالاجتماع على الحق والتمسك به، ونبذ الفُرقة والخلاف لما فيهما من أسباب الضعف والشر والهزيمة.

الصفة الثالثة : وجوب شكر نعم الله التى لايحصيها عادٌ ولايحيط بها مداد، ومن أعظمها نعمة دين الإسلام الذى عمر الله به القلوب وأحيا به النفوس وأصلح به الجوارح حتى استقام أمر المسلمين على كلمة الإخلاص وتحكيم شرع الله الطاهر القويم الذى من رضى به وحكمه حاز السعادة والسيادة، وضمن الله له الصلاح في الدنيا والآخرة.

ودلت الآية الثانية على عدد من الصفات الكريمة الزكية التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم ومسلمة وبالأخص جماعة الجهاد في سبيل الله :

الصفة الأولى : التوبة التى تعتبر رحمة من أرحم الراحمين الذى علم ضعف هذا الإنسان الذى يقع في الأخطاء والمخالفات بين آونة وأخرى ففتح له هذا الباب باب التوبة وأمره أن يتوب إلى الله من كل ذنب صادقاً حيث قال سبحانه ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾(١).

وكان النبى صلى الله عليه وسلم الكريم المعصوم من كل خطأ متعمد يكثر من الاستغفار والتوبة طاعة لله وترغيباً لعباد الله الذين يحبون التأسى به فى قوله وفعله وعمله.

الصفة الثانية : حب العبادة والتلبس بها في كل حركة وسكون وفي كل حال من الأحوال، والعبادة: كلمة جامعة تطلق على كل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة.

الصفة الثالثة : حمد الله وشكره فهو المستحق لذلك، إذ هو المنعم بالخلق والإيجاد وإنزال الكتب وإرسال الرسل وتكريم بنى آدم على كثير من مخلوقاته التى لاتحصى ولا تعد ولايحيط بها إلا خالقها.

---

(١) سورة التحريم آية (٨).

الصفة الرابعة : السياحة: التى فسرها العلماء بالصوم فريضة ونفلاً، وهو من أفضل الأعمال التى تهذب النفوس وتقوى صلتها بالله لما فيه من ترك الملاذ والشهوات إيماناً بفضله واحتساباً لأجره.

الصفة الخامسة : الركوع والسجود، وهما وإن كانا داخلين في لفظ العبادة إلا أن لهما من الفضل والمزية مالم يوجد في سواهما إذ هما دليلان صادقان على مدى عمق إيمان صاحبهما ومحبته لربه ليكسب محبته ورضاه، ولهذا قال تعالى مشيداً بمن دأبهم الدوام على الركوع والسجود : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾[1].

وقال عز من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾.

وقال النبى الكريم صلى الله عليه وسلم لمن طلب منه أن يدعو الله له في مرافقته في الجنة فقال : «**أعنّي على نفسك بكثرة السجود**».

الصفة السادسة : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو ركن عظيم من أركان الإسلام لايستقيم أمر الأمة إلا به، وإن المجاهدين في أمسّ الحاجة إلى تطبيقه بينهم لأن جهادهم بأنفسهم وأموالهم ماهو إلا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولقد مدح الله أهله بقوله :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾.

الصفة السابعة : الحفظ لحدود الله الذي يتجلى في فعل مايجب فعله وترك مايجب تركه من التكاليف الشرعية التى يجب أن يرعاها العبد حق رعايتها بحيث لايفقده الله حيث أمره ولايراه حيث حرم عليه ونهاه.

ثم ختمت هذه الصفات الرفيعة بالبشرى السارة لأهل الإيمان الحق الذي يشملها كلها، وبأى شيء بُشروا ياترى ؟ بُشروا بجنة عرضها السموات والأرض فيها مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

ودلت الآية الثالثة على ذكر ثلاث صفات من صفات المجاهدين الأولين من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين، ولعظم شأنها فقد ذكرت في

---

(١) سورة الزمر آية (٩).

التــوراة والإنجيل والقرآن لكي يرغب كل مسلم ومسلمة وكل مؤمن ومؤمنة أن يلزموا أنفسهم بها وبالأخص المجاهدون الذين باعوا نفوسهم الغالية بما هو أغلى وأبقى عند الله؛ رضاه وجنته.

الصفة الأولى : الشدة على الأعداء والرحمة بالأخيار الأولياء امتثالاً لأمر الله حيث قال : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(١).

وقال في حق الكافرين : ﴿ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(٢).

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»(٣).

الصفة الثانية : كثرة الصلاة والحب لها والإخلاص فيها فهي بحق من أفضل الأعمال وأجلها من حفظها حفظ الدين كله ومن ضيعها فهو لما سواها من أحكام الدين أضْيَع.

الصفة الثالثة : طلب الأجر من الله والاحتساب عنده لينالوا جزيل الثواب الذي من أعظمه وأجله رضوان الله.

كما دلت سورة العصر على أربع صفات كريمة جعلها الله مصدر الصلاح والفلاح والنجاة من الخسران المبين، فحَرِيٌّ بأمة القرآن أن تتحلى بها وحريٌّ بالمجاهدين في سبيل الله أن يطبقوا مادلت عليه تطبيقاً عملياً في واقع حياتهم فإنهم أولى الناس بذلك.

الصفة الأولى : الإيمان الحق بكل مايجب الإيمان به من دين الله وشرعه.

الصفة الثانية : عمل الصالحات بالجوارح التي زودنا الله بها من أجل ذلك.

الصفة الثالثة : التواصي بالحق الممثل في أداء الطاعات وترك المحرمات جملة وتفصيلا.

---

(١) سورة المائدة آية (٥٤).

(٢) سورة التوبة آية (١٢٣).

(٣) البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ج٨ ص٩.
ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ج٤ رقم (٢٥٨٦) ص١٩٩٩

الصفة الرابعة : التواصي بالصبر بجميع أنواعه: صبر على الطاعة فيفعلها إرضاء لله ورغبة فيما عنده من جزيل الثواب العاجل والآجل وخوفاً مما لديه من العقاب العاجل والآجل، وصبر عن معصية الله فلا يقربها ولا يحوم حولها لشدة خبثها وشؤم عواقبها العاجلة والآجلة، وصبر على الأقدار الجارية التى قد قضاها الله وقدرها في الأزل على عباده كالأذى والمصائب في المال والنفس والولد والجدب ونقص الثمرات وغيرها.

وبعد أيها المسلم فقد تم لى بفضل الله وعونه في هذه الخاتمة جمع ثمان وثلاثين صفة :

منها سبع عشرة صفة تتعلق بقائد الجيش الإسلامى كي يكون ناجحاً في قيادته.

وإحدى عشرة صفة تتعلق بالجندى المسلم المجاهد في أرض المعركة كى يكون منصوراً على أعدائه وغالباً لهم بأمر الله.

وعشر صفات تتعلق بالجيش في حال اجتماعهم في أسفارهم لجهاد عدوهم وفي حال إقامتهم في أرض المعركة وغيرها.

وهذه الصفات بمجموعها يدخل بعضها في بعض ويشمل بعضها بعضاً بسبب وحدة المقصود وطبيعة العمل ألا وهو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته ونصر دينه وإقامة شرعه في أرضه التى يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.